

جسر الأئمة الشاهد الحي

المقدمة

هكذا يترك الأسى بصماته على التاريخ حينما وصلت الحشود بنفس مات أكثرها في الطريق، ولم يتبقّ منها سوى دعاء مُسِين، وعويل امرأة على طفل أغمض جفنيه إلى الأبد فوق الجسر الغريق، الذي مازال مكفناً بالأسئلة.

هكذا هم سَدَنَةُ الأحزان حيث مشّت معهم قوافل الضوء المحملة بنكهتهم المعهودة، قاصدين مرورهم الذي تربّص بهم ريب المَنون نحو الكاظمين حيث لم تصل سوى رعشة قبالاتهم الحائرة إلى مطافهم الأخير عليه وعليهم السلام .. بهذا الموت الطاعن في الحياة .. أمسكت الأرواح اللاهثة بعُرى إمامها وصلت ركعتين على عجل؛ لتمارس وجودها في عليين..

مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.. هكذا سقط الألف ونيف في حُسن دجلة عندما خانهم الجسر فأجزلوا له العطاء على هذا الموقف النبيل.

حادثة جسر الأئمة .. حين وقعت الواقعة..

حين كان العراق ذلك الشيخ سليل الأنهار العميقة، وبائع الشهد على مرّ الأزمنة .. حين كان يهَمُّ بالعبور إلى الضفة الأخرى لم يُدْرَ في خلدّه أنه سيُطير به الهيام إلى درجة أن يجلس بين يدي الجوادين عليهما السلام، حشداً لحشد، ووطناً لوطن.

بهذا المعنى الروحي الباذخ، وبهذا الوجود السرمدي نستحضر وإياكم شجن الحديث، وحديث الشجن لفاجعة تسرد حكاية العراق الذي لم يسقط من جسر الأئمة، وإنما عبر بجثة الوطن إلى الضفة الحمراء مضرّجاً بالحياة عندما مالت قبعة الشمس إلى الغروب.

أيها الجمع البهيّ: إن الحديث عن حادثة جسر الأئمة لا يمكن أن يتّسم بالاستلهاج الضيق لما جرى بقدر ما ينفّث بمصراعيه في الحديث عن الوطن وعن العراق.

ولعل أدلّ شيء على ذلك .. عثمان العبيدي، الذي جعلت منه الفاجعة جسراً مر من فوق غرقه كلّ العراق.

وإننا لا نغالي إذا قلنا بهذا التوصيف؛ فكل مخططات الفرقة ونعيب الغربان بمقولة: "فرق تسد" لم تفعل فعلها مع عثمان العبيدي .. ذلك الفتى الذي أدرك اليقين، واستبد به الوجد إلى عتبة التضحية؛ لينسف بذلك ما قدّر له الارهابيون من أنّ الحادثة

ستأخذ بُعدها الطائفي حيث سجّل ذلك العبيدي هدف الوطن الذهبي في مرمى
الارهاب الأعمى الذي لا يرى أكثر من أرنبته.

نعم ، أيها الإخوة هكذا هو بلدكم، فالعراق، وعثمان كانا في حادثة جسر الأئمة
وجهين لعملة واحدة.

((ويمكرون، ويمكر الله، والله خير الماكرين))

هكذا يجود الفتى عثمان بما بقي له من ربيع ليورق في قلب الذكرى نشيداً من
الياسمين ليدفن في قلب الوطن مواري بالتاريخ المشرف ((فنعم عقبى الدار)).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على أشرف الخلق أجمعين،
أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين وجميع
عباد الله الصالحين..

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله و بركاته

قال الله (تبارك تعالى) في محكم كتابه العزيز:

((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين
بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون)).

تستمد المناسبة شرفها من شرف صاحبها، وكلما كان صاحبها كبيراً كانت المناسبة
كبيرة، كذلك فإن حجم الإنسان لا يقاس بوحدات بدنه من حيث السعة والوزن، إنما
يقاس بقلبه وما يختزن من مشاعر وإحاسيس، وبعقله وما يختزن من افكار ومفاهيم،
وآلافكار هذه لا تتحرك في حيز العقل بالنحو الذي تكون مجردة عن واقع الانسان،
كما أن الاحاسيس والمشاعر التي يحملها الانسان في عمق قلبه ليست منفصلة عن
ادائه وسلوكه، من هنا الاحسان بمحتوى الانسان بقلبه وعقله يستمد قيمته الحقيقية،
وحين يتصرف مع الآخرين يرسم مساراً سلوكياً يعلو، ويرتفع، أو يهبط، بناء على
القيم التي يحملها في داخله، وأروع ما في المشاعر، وأروع ما في المفاهيم والافكار
أنها تبعث الانسان على العطاء والتضحية، وحين تصل التضحية إلى حد القتل في
سبيل الله يكون الانسان قد بلغ اقصى مداه من العظمة لذلك قال الشاعر:

يجود بالنفس إن ظن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

من هنا لاتجد امة حية من الامم، الا ومجدت شهداءها، وابناءها، وبناتها، حين
يقدمون ارواحهم في سبيل أمتهم؛ وإذا كانت أمم العالم قدمت في وقت ما عدداً
معيناً من الشهداء فإن أمتنا في العراق قدمت الكثير الكثير، ففي كل حقبة زمنية
جادت بخيرة أبنائها وبناتها لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، هذا الشعب يصح أن
تسميه بلد الثروات المتعددة بلد النفط، والزراعة، والثقافة، والحضارة والتاريخ،
والموقع الاستراتيجي، والمياه وثروات كثيرة أخرى، ولكن أيضاً فوق كل هذه
الثروات هو بلد ثروة الشهداء والدماء الزاكية، التي سطر فيها تاريخه بأنقى وأزكى
الدماء.

فما من زقاق من أزقة العراق، بل ما من بيت من بيوت العراق، إلا وفيه شهيد إن لم يكن في بعض الأحيان أكثر من شهيد.. هذا يدل عميق الدلالة على أن هذا الشعب الذي حاول البعض أن يقهر إرادته ظل أبداً شامخاً وصامداً ومعطاء لا يتردد أن يعطي فلذات أبنائه في سبيل إحقاق الحق.

ولقد أعطى شعبنا أركى الدماء ليروي شجرة الحرية وليتمسك بشرفه وكرامته، كما يقول الشاعر:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

هذا الشعب الذي أعطى سابقاً هو نفس الشعب الذي يحمي هذه الشجرة، وهو نفس الشعب الذي يصون الإنجازات، إن نفس الجيل المعاصر الذي يتدفق عطاؤه على شكل شهداء في سبيل حماية البلد هم أنفسهم أبناء ذلك الجيل (القوم أبناء القوم)، ذلك الجيل الذي قدم (الصدر)، بحجمه وبكل ما يمتلك من ابعاد معرفية وقيمية وأخلاقية وفكرية يوم صدح (الصدر)، بصوته في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، وهو نفس الجيل الذي قدم الشهيد (عبد العزيز البدري)، والذي قدم (الصدر الثاني)، وقدم (الحكيم)، وقدم (عارف البصري)، وقدم الشيخ (احمد البارزاني)، وقدم الكثير الكثير.

هذا العراق يتدفق في العطاء على أكثر من صعيد، من أجل أن تبقى كلمة العراق فوق كل شيء، ومن أجل أن تبقى كرامة العراق قبل كل شيء، لذلك استعد شعبنا لأن يعطي، وحين نحبي ذكرى الشهداء لا ينبغي أن يساورنا أدنى شك في أننا نحبي ذكراهم لأنهم غائبون أبداناً بيننا، ولكنهم حاضرون بين يدي الله (سبحانه وتعالى) لأن الآية القرآنية الكريمة تقدم لنا نهياً شديداً عن أن نتعامل مع الشهيد والقتيل في سبيل الله (سبحانه وتعالى) على انه ميت:

((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون)).

لأن الحياة في القرآن ليست الحياة التي درجنا وتعرفنا عليها بين أعرافنا وتقاليدينا، الحياة لا تعني أن تأكل يومياً ثلاث وجبات، الحياة لا تعني اطلاقاً أنك تمشي فقط بين الناس، والحياة لا تعني أبداً أنك تتحدث في المجالس، الحياة بمفهوم القرآن الكريم تعني أنك منتج (انتاج)، والحياة بمعنى أنك سعيد، وليس الانتاج انتاجاً تقليدياً كما ذهبت اليه بعض المدارس، نعم الانتاج المادي مهم ولكن الاله من ذلك أن

يكون الانتاج انتاجاً معنوياً، روحياً، أخلاقياً الى جانب الانتاج المادي فمن منا يستطيع أن ينتج بقدر الشهيد؟

الشهيد حي عند ربه يرزق حسب منطوق الآية القرآنية الكريمة والتي تخبرنا أن مفهوم الحياة في القرآن يتوقف على عنصرين: عنصر الانتاج، وعنصر الشعور بالسعادة.

((ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون))

رزقهم رزق مستمر، فمن منا يستطيع أن يحقق لنفسه رزقاً يصل في أقصى مداه الى أدنى مراتب الرزق التي وصل اليها الشهيد وهو الحي عند ربه، ويرزق؟

الرزق اذن هو العنصر الأول، اما العنصر الثاني هو أن الشهيد مغمور بالسعادة:

((فرحين بما آتاهم الله من فضله))

ملأه الفرح والسعادة؛ لأنه وصل ذروته على مدارج التكامل حيث تقول الآية القرآنية الكريمة:

((لاخوف عليهم ولا هم يحزنون))

لا خوف من المستقبل، ولا حزن على الماضي، هذا ما لا يستطيع الانسان أن يصل اليه، فالقتل ولادة بالنسبة لهم (الشهداء)، القتل بالنسبة لهم ولادة، ولادة جديدة لذلك يقول احدهم:

هلا علمت بأن القتل يولدني أنا القاتل فيا مرحى بميلادي

لقد جرب أعداء العراق والانسانية كل شيء، جربوا أن يفجروا، ويغتصبوا، ويسلبوا ولكن ماذا كانت النتيجة؟

كان رد شعبنا كبيراً يتناسب مع كبر قيمهم، وإصرارهم، وإرداتهم، ووعيمهم، وأخلاقهم، لقد راهن الاعداء على فسم عرى الوحدة الوطنية في العراق، وجأؤونا ببذعة جديدة بشعارات جديدة، بنمطية جديدة من التعامل داخل المجتمع العراقي تحت يافطة الطائفية المقيتة، أرادوا أن يستبدلوا التعايش المذهبي الرائع الذي نسجته أخوة العراقيين، وأخرجت منه نسيجاً رائعاً قوياً تألف فيه الألوان ويكون أنموذجاً للعالم المتنوع، أرادوا أن يستبدلوه بالفرقة والتناحر.

يجب أن يتعلم العالم من العراقيين المعلمين، كيف يتعامل من موقع الاختلاف، أرادوا أن يعبثوا بوحدتنا فيستبدلوا الوحدة الوطنية والتعايش المذهبي، بنعرة طائفية

عسى أن تضع العراق على أعتاب مرحلة (جديدة)، هي مرحلة الاحتراب والحرب الأهلية، وباءت محاولاتهم بالفشل، فلا يوجد سني يقتل شيعياً، ولا يوجد شيعي يقتل سنياً، الذين قتلوا السنة والشيعية هم أعداء العراق، كما لا يوجد عربي يقتل تركمانياً أو كردياً والعكس ايضاً صحيح.

إن أعداء العراق هم الذين حاولوا أن يشيعوا القتل، ويحركوا مأكنة الموت في كل بيوت العراقيين، بالأمس القريب طاحونة الموت امتدت لتقتل أعداداً غفيرة من أبناء العراق في كل مكان.

صحيح أن النظام المقبور أشاع الموت في أوساط الشيعة والأكراد أكثر مما أشاعه في الأوساط الأخرى، ولكن ذلك لا يعني أنه مارس هذا العمل من موقع (سنيته) لأنه قتل السنة قبل أن يقتل الشيعة والأكراد، فقد قتل الشيخ (ناظم العاصي)، وغيره الكثير، تماماً عندما أفشى الموت في (حلبجة)، و(الأنفال)، وقتل الأكراد لم يكن من موقع (عربيته) لأنه قتل العرب قبل أن يقتل الأكراد، ثم ماذا نقول نحن لأبنائنا وبناتنا في كل محافظات العراق التي عاشت وهي تنتسم عبير الوحدة الوطنية المذهبية في كل المحافظات.

فالبصرة على سبيل المثال فيها قلة من إخواننا أبناء السنة مع كثرة شيعية، والموصل على سبيل المثال فيها قلة شيعية مع كثرة سنية، ومحافظات أخرى كديالى وبغداد تأخذ فيهما الطائفتان حجماً كبيراً وأبناءؤها متآلفون في معيشتهم.

إن أبناء القبائل التي عاشت عرفاً قبلياً، وتقليداً يجلسون في ديوان واحد، ويتقاسمون الهموم معاً، ويتطلعون سوية إلى أهداف مشتركة هم من السنة والشيعة، وأما عن الزيجات فأحدى الإحصائيات تذكر أن "26.08" من الزيجات متنوعة مذهبياً وقومياً.. ماذا نقول لأولادنا وبناتنا الذين اعتادوا أن يعيشوا في ظل عائلة، الأب والأعمام فيها من مذهب، والأم والأخوال من مذهب آخر.. متى جاءتنا هذه النعرة المقيتة التي تحاول أن تستبدل وحدتنا تمزقاً، وعلو كلمتنا انحطاطاً وتدهوراً، وتحول حضارتنا إلى جهل، وتراجع، وتخلف.. إن شعبنا لهم بالمرصاد.. لقد طرحوا شعار: (أنهم أنصار السنة) إن السنة والشيعة من هؤلاء براء.

لقد وجدتم أنه ما أن بدأت الأجهزة الامنية تحكم قبضتها، وتمنع اعداء العراق من الوصول الى اهدافهم إلا بدأت عمليات التفجير تطال مدناً مثل (تكريت)، و(الموصل)، و(أربيل)؛ لتتكشف هويتهم على حقيقتها، وتسقط هذه الشعارات التي طالما ردّوها.

حادثة الجسر "جسر الأئمة" الذي حصل في ذلك اليوم التاريخي يوم استشهاد سابع أئمة أهل البيت الإمام "موسى الكاظم" (صلوات الله وسلامه عليه) لطالما كان هذا اليوم يرمز إلى حالة تاريخية، وإذا به يتحول إلى واقعة عشنا تفاصيلها، نتحرك على مسلك هذا اليوم التاريخي فيتحول التأريخ إلى حالة مُعاشة وإلى واقع يشهده الناس، لكن كيف ظهر العراقيون في هذا اليوم؟

مع عروج الشهداء الألف ونيف إلى السماء بعثوا بعروجهم هذا رسالة إلى العالم كله، هذه المناسبة، مناسبة إسلامية يحيي شعائرها المحبون لأهل البيت (عليهم السلام)، ولكننا وجدنا الوحدة الإسلامية تتجسد في هذا اليوم بأروع صورة لها، فكيف نفسر هذه الوحدة، وكيف يفسرها الآخرون؟

بالنسبة لنا ليس من الصعب أن نفسر شهادة (عثمان علي العبيدي) ولكن الذين راهنوا على لعب ورقة الطائفية بماذا يفسرون استبساله وبطولته وشهادته، وهو يقوم بإنقاذ هذا العدد.. ليسألوا أنفسهم لو أن (عثمان) كان يريد أن يسجل لنفسه رقماً إعلامياً وسياسياً لاكتفى بإنقاذ واحد أو اثنين أو ثلاثة لكنه واصل إلى أن أنقذ سبعة أو ستة، والله أعلم لو لم يكن قد لاقى حتفه، وذهب إلى ربه راضياً مريضاً بالمحاولة السابعة ربما لاستمر.. لا أدري إلى أي رقم، ماذا يعني ذلك؟، أين الطائفية؟، وأين موقعها في هذا المشهد الحي؟!

ليس هذا فقط .. إخواننا بمختلف مناطق العراق عبّروا عن تعاطفهم، وعن التحامهم بطرق مختلفة، أهل الفلوجة جاؤوا للتبرع بالدم ليعبّروا بصدق وإخلاص عن تعاطف أهل هذه المدينة مع إخوانهم في بغداد وفي الكاظمية.

في هذا اليوم الذي اقترن باسم الإمام "الكاظم" (عليه السلام)، أريتم الطفولة؟، وأي طفولة، الطفولة التي يرمز لها (محمد)، وهو يعرج إلى ربه وقد ربط على صدره كتاب الأدعية (مفاتيح الجنان)، طفل صغير ولكن عقله وقلبه كبيران.

(إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه)

لا تسأل عن السن، ولا تسأل عن الشهادة الأكاديمية بل اسأل الآخر عن عقله، وما يختزن من مفاهيم، وعن قلبه وبماذا يعبق من مشاعر وأحاسيس.

جاءت كذلك رسائل أخرى من الأعداء، أرادوا بها أن يثيروا ثقافة السأم وألياس والتملل والاستياء والضجر، وإذا بصوت ذوي الشهداء ومحبي الشهداء، وإذا بأصواتهم تهدر لتشق طريقها، وتملاً آفاق الدنيا.

لقد وجدت تلقيات وردود فعل لم يشهدها تاريخ العراق المعاصر، فقد مرت محن كثيرة منذ سقوط النظام المقبور حتى اليوم والعالم كله كان في صمت، فغُرِف القرار السياسي كانت تغلق أبوابها ونوافذها عنا، لكن في ذلك اليوم التاريخي المشهود ولأول مرة منذ السقوط يقرع الجرس، لتملأ الدنيا صوتاً هادراً، فوجدنا تلقيات من مختلف مناطق العالم، جاءت من بركة صاحب الذكرى ومن بركة الشهداء، ورؤساء الحكومات وكثير من المسؤولين ولأول مرة اتصل بعضهم تليفونياً، ومنهم من بعث برسائل، ومنهم من عبّر عن مشاعره عبر قنوات الإعلام وأعلن تعاطفه مع هذه الحدث.

لقد أراد أعداء العراق بفعلهم هذا ومن خلال ما خسروا من أولادنا، وبناتنا، من شبابنا، وشيئنا أن يضيفوا ركناً جديداً، ويشعروا العراقيين بأنهم سيضافون مرة بعد أخرى إلى حالة من الفقر وغير ذلك، ولكن اهتزت (أريحيات) العراقيين لتجد الكرم العراقي، والكف العراقية وهي تمتد ليتبرعوا طواعية بهذه المناسبة، وهنا أذكر أيضاً قولاً لشاعر يقول:

إذا فاضت أكفهم بجود تيتّم بالعطاء لهم مثال

العراقي عندما يمدّ يده في جيبه، ويعطي، ولا ينظر كم سيبقى لديه غداً، هو يعرف أنه الآن يملك شيئاً، ويجب أن يعطي منه هذا مفهوم قرآني:

((الذين ينفقون في السراء والضراء))

أن ينفق الإنسان في السراء وهو يملك فهذا شيء جيد، ولكنه طبيعي لأنه يملك وينفق كذلك في الضراء؟! هذا دليل الشجاعة، عندما تجد هؤلاء جميعاً يجودون مع حجم عطاء لا يتناسب مع ما يملكون المال، أنا على يقين من ذلك، لأنني أعرف بعضهم، أنا أعرف منهم من تبرع، وقد اقترض لذلك لأن أريحته اهتزت، وأبت عليه شهامته إلا أن يعطي على الرغم من أنه لا يملك الكثير من المال، لكنه يملك ثروة أخلاقية كبيرة؛ لذلك جادت يده، وطوال فترة حملة القناة الفضائية الموسومة بـ (العراقية) كنت أتابع ذلك من خلال شاشة التلفاز، ولم أفاجأ وقد قلت ذلك أكثر من مرة.

أنا لم أفاجأ لأنني ابن هذا الشعب، وأعرف كيف يفكر، أنا ابنهم عملت في قراهم، ونواحيهم، ومحافظاتهم، وشاء القدر أن أتجول في أكثر من منطقة.. عرفتهم منطقة

بعد أخرى.. عشت الموصل، والناصرية، والعمارة، وبغداد، والحلة، والديوانية، والنجف، وكربلاء، لقد عشتهم، أنت تجد نفسك أمام شخصية فقيرة المال ولكنها غنية الطبع:

((يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إحافاً))

هذا هو شعبنا يعرف كيف يتعامل مع المحنة عندما يمرّ بها، لذلك أنا في الوقت الذي أسجل باسمي وباسم إخواني وأخواتي أعضاء الحكومة من السادة الوزراء الى بقية مفاصل الدولة، نسجل إلى هؤلاء الموقف البطولي، وأدعو الله (تبارك وتعالى) لهم بأن يرفع مقامهم في الجنة، في نفس الوقت أشاطرهم الهموم، وأدعو لكم أن تتحلوا بالصبر والسلوان، وأدعوا الله (تبارك وتعالى) لكم أن يعظّم لكم الأجر، وأن يربط على قلوبكم بالصبر والثبات والعزيمة، وأن تفكروا كيف تحيوا ذكرى أبنائكم ورجالكم الذين ذهبوا إلى ربهم راضين مرضيين.

البيت الذي يخرج شهيداً لابد لنا من دراسته، ندرس الأم التي ربتّه، وندرس الأب الذي رعاها... وعندما يكشف النقاب عن مثل هؤلاء الناس في هكذا أحداث، هذا معناه أن هذه الشخصيات التي عاشت بيننا كانت قد اختزنت قيماً معينة، وأخلاقاً معينة، واستحقت بها أن تتوشح بأكاليل الشهادة.

هؤلاء الشهداء ينبغي أن لا يغيبوا عن بيوتنا، وعن مجالسنا، ولذلك يجب أن نسمّي بأسمائهم الأزقة التي عاشوا فيها، ويجب أن نذكرهم دائماً، ويجب أن نكرم هؤلاء فالأمة التي تكرم شهداءها أمة حية، والأمة التي لا تعرف قيمة شهدائها أمة لا تستحق الحياة، كل أمم العالم تحاول أن تغوص في تاريخها لتستل من أبنائها من ضحّى لأجلها؛ لتجعل منهم نقطة ارتكاز لها جاعلة من المناهج الدراسية والتربوية تدور حول هؤلاء لتأخذ، وتنهل من ينبوع القيم التي ركبت أولئك الشهداء.

في التاريخ كل أمم العالم تجدد ذكرى شهدائها في الإعلام، والمناهج التربوية والتعليمية، حيث تركز عليهم، نحن شعب الشهداء... نحن شعب الشهداء، ولذلك يجب أن نشعر أم الشهيد، وأبا الشهيد، وأخا الشهيد، وابن الشهيد، وزوجة الشهيد أن اقتران اسمهم بالشهادة موضع احترامنا جميعاً، فماذا إذا كنت ابناً لطبيب، أو إذا كنت ابناً لمهندس إنها أكاديمية ولكن أن تكون ابناً لشهيد، فذلك هو العطاء في أقصى مدياته.

يجب علينا أن نحترم هؤلاء؛ لأن الشهداء وقود للحركة، ولأن وقود حركة الشهيد لا ينتهي بانتهاء حياته، فكل الناس يموتون ولكن الشهيد يمتد حتى بعد رحيله الى الله (تبارك وتعالى)، لذلك يجب أن نتعلم من الشهداء، فمثلاً أعطى هؤلاء بكل شجاعة

واستبسال يجب أن نستمد منهم العزم، والثبات، والمواصلة على طريقهم تماماً بنفس الشجاعة وب نفس الإباء.

كلنا سنموت: ((كل نفس ذائقة الموت))، ولن يبقى أحد إلا ويموت، السؤال كيف سنتتهي حياتك؟

الشهداء قضوا حياتهم بكل شرف، وأكسبوا مجتمعاتهم وأممهم كل قيم الاحترام والكرامة، انظروا إلى العالم كيف ينظر لنا بعد أحداث ذلك اليوم (يوم جسر الأئمة) ينظر لنا وقد وصلت رسالة الشهداء إلى كل العالم، والشيء الرائع أن ذوي الشهداء، ومحبي الشهداء، واقارب الشهداء، ردّدوا أصوات الشهداء فلذلك بدا عليهم العزة والكرامة والإباء.

إن الذي حصل في هذه الفاجعة يعطينا زخماً معنوياً يدفعنا لأن نعمل ليل نهار من أجل هذا الشعب، هذا الشعب مثلما يمتلك هذا الثروة الزاخرة المعنوية يمتلك ثروة مادية كذلك، فشعبنا شعب غني، الله (جل وعلا) لم يخلقنا فقراء؛ لأننا نقف في العراق على بحيرة من نفط وهذا ليس تخميناً، ولا تمنياً، ولا شعراً من القول هذا واقع كشفته دراسات التنقيب العلمية، نحن نقف على بحيرة من النفط، نحن أبناء شعب الرافدين بلد السواد لكثرة عطائه، ونخله، بلد الزراعة، نحن بلد الموقع الاستراتيجي في قلب العالم والشرق الأوسط، نحن بلد المياه، نحن بلد العتبات المقدسة.. هنا على أرض العراق يتحرك إبراهيم (عليه السلام) أبو الأنبياء ويونس في (نينوى) في الموصل وأصحاب المذهب من إخواننا أبناء السنة (أبي حنيفة) و(الكيلاني) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام).

هنا في العراق الله (تبارك وتعالى) حباناً بمختلف أنواع النعم؛ لذلك يجب أن نعمل ليل نهار من أجل أن نلغي الحالة الاستثنائية، التي ألمّت بالعراق من خلال الممارسات السيئة لسلسلة الحكومات، التي تعاقبت على حكم العراق، حيث بدّدت الثروة، وأهانت الإنسان العراقي، وشوّت صورته أمام العالم.

إخوانكم يعملون ليل نهار، وليس قليلاً منهم كما هو ليس كثيراً عليكم أن يعملوا من أجلكم، لأنهم جاؤوا منكم وأنتم انتخبتم هذه الحكومة، منكم جاؤوا، ولأجلكم يعملون، وكذلك بواسطتكم يتغيرون، ذهب ذلك الوقت الذي كان فيه الشعب في مواجهة حكومة تفرض عليه لتقمعه، هؤلاء أبناءكم، لا يوجد ثمة فجوة أو (إسفين)، في أن تقترب، وتحاور أياً من الوزراء في العراق اليوم، تحدثوا معهم بصورة مباشرة، التقوهم في مكاتبهم في المناسبات، والاحتفالات، وفي اللقاءات، أسمعوهم أصواتكم فإنهم باستمرار يتحدثون عن همومكم في كل اجتماع، يتحدث كل واحد عن منطقته

ويقول: سمعت كذا، وسمعت كذا، إنه أعذب الحديث؛ لأنه حديث الشعب، على لسان ابن الشعب، ومن أجل الشعب.

من يقول لكم: إن القافلة التي بدأت مسيرها في الثلاثين من كانون الثاني في هذا العام (2005)، ستقف اذا وقف رجل (التصدي للقيادة)، فهو لا يعرف شيئاً، العراق أكبر من أكبر رجل، العراق لا يصنعه رجل، بل هو الذي يصنع الرجال، وإذا سقط رجل في العراق فسيخرج الف رجل، وكل واحد منهم بالف رجل، كنت أقول ذلك ومازلت: إن الإرادة العراقية ما اندحرت، لا أقوله الآن، وقد برز القمم العراقي بعد أن هشم المارد والفارس العراقي هشم قمقمه وخرج للعالم وتحت الضوء، كنت أقول هذا عندما كنت معارضاً، والأُن أسمع من يقول: إن صدام لم يُبق رجلاً قوياً وما شاكل ذلك، أقول للعالم: تعالوا هنا وانظروا، انظروا الى الجمعية الوطنية، انظروا الى مجالس المحافظات، وانظروا الى التشكيلة الوزارية، انظروا كم لدينا من القابليات الممتازة على مستوى الرجال والنساء، انظروا الى شاشات التلفاز كيف أن طفلة صغيرة تعطي درساً للآخرين، عندما تأخذ قرطها (الترجية)، - باللغة العامية- وتقدمه تبرعاً لذوي الشهداء.

أراد الله (سبحانه وتعالى) لهذا الشعب أن يكون مدرسة، وأن يكون كل واحد من أبنائه معلماً يعلم الآخرين.

المعلم هو الذي يتخذ مواقف جديرة بأن تكون قدوة للناس، وليس شرطاً أن يكون أكاديمياً، والمدرسة، ليست البناية التي تسيج بسور وحائط،... المدرسة هي عندما تجد نفسك أمام طفل صغير، أو شخص كبير يعطيك درساً حتى لو لم يكن متعلماً، هذا هو شعبنا، بهذه الإرادة وبهذا التصميم نستطيع بإذن الله (سبحانه وتعالى) أن نحول فقرنا إلى غنى، فشعب له مثل هذه الثروات يجب أن يعيش مُكرّماً؛ لأن الله (تبارك وتعالى) أراد لنا أن نكون شعباً غنياً حيث نقرأ في الحديث الشريف:

(إن الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى آثار نعمته عليه)

البعض كانوا يعيبون على العراقيين أن نعمة قبلية قد استبدت بهم، وأنهم يهْمشون دور المرأة في حياتهم، صحيح ربما يكون ذلك في مجال ما، أو في أجواء معينة، وإذا بحاضر العراق اليوم يطرح صورة جديدة تقف فيها المرأة الى جانب الرجل بكل عفة، وبكل كرامة، وهي تسهم في العمل السياسي، في مرحلة الحكم تماماً كما أسهمت في العمل السياسي في مرحلة المعارضة، فلماذا لا تكون المرأة مقبولة وقد سُجنت، واستشهدت، وعُذبت في زنازين السجون، وطُردت، وهاجرت، واختفت

سنين من الزمن؛ لأنها ابت إلا أن تقارع الطاغوت، ولكنها لا يمكن أن تسهم على مستوى الوزارة، أو مجلس المحافظة، أو أن تكون عضواً في البرلمان!!

المرأة العراقية اقتحمت كل هذه الأروقة تماماً كما برعت في بناء المؤسسات، فمنهنّ المهندسات، والطبيبات، والمعلمات، والمدرسات، واللائي يشتغلن في الحاسوب، وفي المجالات كافة، كذلك دخلت المرأة الآن في الحالة السياسية.

إن التحولات التي حققها الشعب العراقي تحولات نوعية وبزمن قياسي وعلى الرغم من كل التحديات والظروف الصعبة فإن الشعب العراقي يتقدم، هذا أرقّ البعض مثلاً أفرح الأخ والصديق، وهي شهادة نعتز بها، لكنه أثار أيضاً العدو وتلك أيضاً شهادة نعتز بها.

نعتز كثيراً عندما كان أهل مكة يلقبون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصادق الأمين وشرف لرسول الله أن يكون المشركون والمنافقون يقولون عنه الساحر الكذاب هذه شهادة (شهادة عدو).

(علي).. الذي قال فيه أعداؤه ما قالوا، ثم نعتوه بأسوأ الصفات، شرف له أن يكون أعداؤه بهذا المستوى المتدني من الأخلاق عندما يصفونه بهذه الطريقة، وهكذا عندما يكون الإنسان كبيراً، وعندما يكون الشعب كبيراً، يترك ردود فعل كبيرة، فبمقدار ما يكون الإنسان كبيراً تكون ردود فعله كبيرة، كذلك هذا الشعب كلما مرّ بمحنة تغلب عليها.

شعبنا يحب السلم، ويحب الاستقرار، ويريد لنفسه ولشعوب المنطقة أن تعيش بسلام، ويريد شعبنا أن يكون العراق ومركزاً للمحبة، والسلام، والأمن، والاستقرار بعد أن حاول صدام في المرحلة التي مضت أن يحوِّله الى محطة للتوتر، ولقرع طبول الحرب المحلية، تارة على كردستان العراق، فقتل من أهلها ما قتل، وقرع طبول الحرب الاقليمية، تارة أخرى على ايران، والكويت، وخرب في هذين البلدين ما خرب.

العراق اليوم لا يحمل نذير سوء وشؤم لأحد.. العراق اليوم يتمنى الخير لكل الناس، ويريد أن يبني حاضره ومستقبله على ضوء قيم حضارية، وعلى ضوء إمكاناته المادية، وعلى ضوء ثروة غزيرة توافرت له حباه الله (تبارك وتعالى) بها، وسيتأتى للعراق ذلك (إن شاء الله) بواسطة سواعدكم جميعاً، وبواسطة مؤسسات الدولة، وبواسطة مؤسسات المجتمع المدني التي لا ترتبط بالدولة ولكنها تسير معها جنباً إلى جنب لخدمة المواطنين.

مع عروج الشهداء الى ربهم ذهبوا راضين مرضيين، وستبقى ذكراهم تملأ ذاكرتنا وذووهم (آباءهم، وأمهاتهم، وأبناءهم، وبناتهم) سيبقون أمانة في أعناقنا.

لذا ينبغي أن نترجم هذا الشعور إلى إحساس حقيقي يتحرك في واقع عوائل الشهداء ولكننا سنبقى مقصّرين مهما فعلنا، فماذا نعطي لذوي الشهيد الذي أعطى روحه من أجل القيم ومن أجل الوطن؟

أتمنى لكم الموفقية...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...